ISSN
Print: 2695-2132 | Online: 2695-2118

Interrogative Styles between Literal and Figurative Usage: An Applied Rhetorical Study of the Book *Rawā'iʿ al-Ḥikam fī Badā'iʿ al-Kalim*

أساليب الاستفهام بين الحقيقة والمجاز: دراسة بلاغية تطبيقية في كتاب "روائع الحكم في بدائع الكلم"

By
Muhammad Khamis Baba
Department of Arabic Studies
Federal University of Lafia, Nassarawa
&
Abdussalam Muhammad
Indimi Trust Islamic Centre, Maiduguri

Abstract

This study examines interrogative structures in the Arabic Language in terms of their oscillation between literal and figurative usage, with a Rhetorical application to the book "Rawa'i al-Hikam fi Bada'i al-Kalim". It aims to uncover the semantic dimensions that interrogatives acquire when they depart from their original function (seeking information) to various rhetorical purposes such as affirmation, denial, reproach, astonishment and exhortation. The study is based on the analysis of selected examples from the text to reveal how interrogatives are employed and to clarify their relationship with the context that directs their meaning. The analysis shows that figurative interrogatives prevail in aphoristic texts, where they are used as a tool of persuasion and influence, and to condense meaning into concise, wisdom-like expressions. The also demonstrates that interrogatives in this work perform a rhetorical function that goes beyond syntactic structure to construct deep semantic meanings that contribute to reinforcing values and ethical concepts, reflecting and richness and flexibility of the Arabic Language.

Keywords: *Interrogation – Literal and Figurative usage – Arabic Rhetoric Constructive Styles – Rhetoric Purposes.*

المستخلص

يتناول هذا البحث أساليب الاستفهام في اللغة العربية من حيث تردّدها بين الاستعمال الحقيقي والمجازي، مع تطبيق بلاغي على كتاب "روائع الحكم في بدائع الكلم. ويهدف إلى الكشف عن أبعادها الدلاليّة التي يكسبها الاستفهام عند خروجه عن معناه الأصلي (طلب العلم) إلى معان بلاغية متعدّدة، كالتقرير، والإنكار، والتوبيخ، والاستبعاد، والتهويل، والتكثير، والتعجّب والإرشاد. وقد اعتمد البحث على تحليل نماذج مختارة من نصوص الكتاب، للكشف عن طبيعة توظيف الاستفهام فيها، وبيان علاقته بالسياق الذي يوجّه دلالته. وأظهرت الدراسة أن الاستفهام المجازي هو الغالب في نصوص الحكم، حيث يُستَعمل أداةً للإقناع والتأثير، وتكثيف المعنى في عبارات موجزة ذات طابع حِكَمِي. كما بيّنت الدراسة أن الاستفهام في هذا الكتاب يؤدّي دورًا بلاغيًّا يتجاوز البنية التركيبيّة إلى بناء دلالات عميقة تُسْهم في ترسيخ القيم والمعاني الأخلاقيّة، مما يعكس ثراء اللغة العربية ومرونتها في التعبير.

الكلمات المفتاحيّة: الاستفهام – الحقيقة والمجاز – البلاغة العربية – الأساليب الإنشائية – الأغراض البلاغيّة.

المقدمة

يعدّ الاستفهام من أكثر الأساليب الإنشائيّة استعمالًا وأهميّة، ويُراد به طلب الفهم أو معرفة ما هو خارج الذهن، وله أدوات متعدّ>ة تتميّز كل واحدة منها بالسؤال عن جهة من جهات الكلام. وقد عرض كثير من البلاغيين وغيرهم (كالمفسرين) للاستفهام وأدواته فأظهروا معانيها الأساسيّة، والفوارق فيما بينها والمعاني التي خرجت إليها، وتنبّهوا إلى آثار ذلك من جماليات النصوص وصلتها بقرائن المقام والمقال، وأهميّتها في المشف عن أسرار التعبير العربي وخصوصياته في استعماله هذا الأسلوب الذي يكثر فيه، وتنوّع فوائده في التعبير والإثارة والتأثير.

ولأسلوب الاستفهام أهمية بالغة في الحياة البشرية، وتكمن أهميّته في الدور الذي يؤدّيه في عمليّة التّواصل بين البشر، ووظيفته التبليغيّة والحجاجيّة، وإذا كان معلومًا أن التواصل لا يتمّ إلا استنادًا إلى تخاطب، فإن الاستفهام أبرز أدوات هذا التخاطب، لأنه يجسّد دورة التخاطب حيث يتوافر على مرسل ومرسل إليه رسالة، ولما كان الاستفهام خطابًا، تنوّعت أغراضه، فقد يكون حقيقيًّا وقد يكون مجازيًّا، وهو في كل هذا تتغيّر أشكاله وأغراضه، الأمر الذي جعل البلاغيين يدرسونه دراسة تحليليّة، ولهذا كان الاستفهام موضوعًا من الموضوعات البلاغية المهمّة، حيث إن من يتصفّح المصادر البلاغية يجدها تزخّر بكمٍّ هائل من أقوال البلاغيين عن أساليب الاستفهام.

وتهدف الدراسة إلى بيان مفهوم الاستفهام في اللغة العربية وتحديد حدوده بين الاستعمال الحقيقي والمجازي، والكشف عن الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام مثل: التقرير والإنكار والتوبيخ والتعجب والتحضيض، ثم تحليل نماذج مختارة من كتاب "روائع الحكم في بدائع الكلم" للوقوف على كيفية توظيف الاستفهام فيه.

وتعتمد الدراسة على المنهج الوصفي والتحليلي والاستقرائي لعرض المفاهيم النظرية المتعلقة بالاستفهام وأدواته وأقسامه، وتحليل الشواهد المختارة من الكتاب وبيان دلالاتها البلاغية، وذلك من خلال تتبّع نماذج الاستفهام في النصوص لاستخلاص الأغراض العامة والقواعد الحاكمة لها. قسّم الباحثان الدراسة -نظرا لطبيعتها – إلى أربعة محاور بعد المقدمة، ثم الخاتمة وأهم النتائج.

- المحور الأول: نبذة تعرفية عن كتاب "روائع الحكم في بدائع الكلم" وصاحبه.
- المحور الثاني: مفهوم الاستفهام وأدواته.
- المحور الثالث: الاستفهام المجازي وأغراضه البلاغية.
- المحور الرابع: دراسة تطبيقية لنماذج مختارة في الكتاب المدروس.
- الخاتمة وأهم النتائج.

المحور الأول: نبذة تعريفية عن كتاب "روائع الحكم في بدائع الكلم" وصاحبه.

أولًا: التعريف بالكتاب وصاحب الكتاب

لم يكن كتاب "روائع الحكم في بدائع الكلم" إلا نتاج الفكر التي توجّه القلوب إلى النظر في عواقب الأمور قبل الإقدام إليها، والتفكُّر في أوّلها وآخرها. وجاء كمراجعة للنظر كرَّةً بعد كرّةٍ فيما يعايشه الإنسان من الأحوال الدينية، والنفسيّة، والاجتماعيّة والسياسيّة والفكريّة التي تورث الإنسان المحبّة والشَّوق، والخوف والرجاء، والإنابة والتوكّل، والرضا

والتفويض، والشكر والصبر، وسائر الأحوال التي بها حياة القلوب وكمالها. (عمر محمد الأول، 2022م، ص: 10-11).

وصف عبد العزيز بن سلمان الياقوتي الكتاب بقوله: (عمر محمد الأول ، 2022م، ص:4-5):

تَسَطَّعَ فِي الْحَقْلِ خَيْرُ الصَّنِيعْ ** كِتَابُ "الْبَدَائِعِ" زَادُ الْجَمِيعْ
كِتَابٌ حَوَى مِنْ لَآلِي الْحِكَم ** تُنِيرُ الْعُقُولَ وَتَرْوِي الضُّلُوعْ
كِتَابٌ يَمَجُّ الْجَوَاهِرَ فِي ** رَشَادِ الْخِيَارِ بِفِكْرٍ قَنُوعْ
كِتَابٌ أَزَاحَتْ مَعَانِيهِ مَا ** يُعَكِّرُ أَجْوَاءَنَا أَوْ يَضِيعْ
فَجَمِّلْ بِأَلْفَاظِهِ يَا لَهَا ** تُعَطِّرُنَا مِنْ جَمَالِ الْبَدِيعْ
كِتَابٌ مَصَادِرُهُ –مُقْنِعًا- ** كُنُوزُ الرَّسُولِ وَآيُ الْبَدِيعْ

والكتاب حوى من الحكم والوصايا والدرر البلاغية ما يُعدّ ثروة فكرية وروحية؛ فهو كتاب يُغني القارئ بالمعرفة، ويُنعش وجدانه بالمعاني المؤثرة. فكما أن اللآلئ ثمينة ونادرة، فكذلك المعاني التي جمعها المؤلف في هذا الكتاب تعدّ نفيسة في مضامينها، تجمع بين الجمال الفني في التعبير والعمق الدلالي في الحكمة.

وصاحب الكتاب هو عمر بن محمد الأول الإمام، وُلد في مطلع سبعينيات القرن العشرين بمدينة إلورن، عاصمة ولاية كُوارا الواقعة في المنطقة الوسطى الشمالية من نيجيريا. نشأ في أسرة أصيلة عُرفت بالعلم والثقافة الدينية، وكان بيتهم منارةً للعلم والدعوة والإرشاد. (عمر محمد الأول، 2023م، ص: 108-111.)

بدأ حياته العلمية بالقرآن الكريم والكتابة العربية بالخط الأعجمي عند جدّه المرحوم الشيخ الإمام أبي بكر، ثم انتقل إلى الصديق الحميم لجدّه المرحوم الشيخ يوسف يحيى بَابَاكَيهُو حيث تمّ قراءة القرآن الكريم سردًا، ومن ثَمَّ تلقى دروسه الأوليّة بمدرسة كَرُمَا الابتدائية الحكومية إلورن. نال شهادتي الإعدادية والثانوية من كليّة محيي الدين للدراسات العربية والإسلامية إلورن، فيما بين 1995م-1998م، وشهادة الدبلوم من كلية الدراسات العربية والشريعة الإسلامية إلورن، ولاية كوارا عام 2000م، وحصل على شعادة البكالوريوس من جامعة بايرو كنو عام، 2006م، والدبلوم العالي في التربية بهيئة المدرسين ولاية كدونا عام 2009م، ودرجة الماجستير من جامعة إلورن عام 2011م، وحصل على درجة الدكتوراه في البلاغة العربية بجامعة عثمان بن فودي عام 2020م. (بنت عبد الرزاق طاهر، 2024م، ص: 4-6).

وله مقالات بلاغية منشورة في المجلات العلمية الدولية والعالمية، كما أن له مؤلفات في البلاغة العربية منها: مكنز الجناس في مناجاة "يا محيي الرفات" ومورد الظمآن في تراجم البلاغيين النيجيريين. ومن مقالاته البلاغية: ظواهر المعاني والبيان في الأذكار النبوية: نماذج في كتاب حصن المسلم، تجليات الاقتباس القرآني في ديوان "جمع الخردة في تخميس البردة، من قضايا البلاغة العربية في المجلات الجامعية في نيجيريا: أدوار وتطوير.

ومن ضمن مؤلفاته هذا الكتاب "روائع الحكم في بدائع الكلم"، وقد كثر فيه أساليب بلاغية تشمل البيان والمعاني والبديع، ويستحقّ الكتاب أن يدرس دراسة بلاغية معمّقة. ولذلك أراد الباحث أن يدرس أساليب الاستفهام بين الحقيقة والمجاز فيه دراسة تطبيقية.

المحور الثاني: مفهوم الاستفهام وأدواته.

الاستفهام هو طلب العلم عن شيء لم يكن معلومًا أصلا، وهو مشتق من مادة (فهم)، وقد أورد ابن منظور في كتابه "لسان العرب" وعرّفه بقوله:" الفهم: معرفتك الشيء بالقلب، وفهمت الشيء: عقلته وعرفته، وفهمت فلانا وأفهمته وتفهّم الكلام: فهمه شيئًا بعد شيء واستفهمه: سأله أن يفهمه، وقد استفهمني الشيء، فأفهمته وفهّمته تفهيمًا". (ابن منظور، مادة: فهمك) وقال ابن قتيبة: "واستفهمته: سألته الإفهام". (ابن قتيبة، 1963، ص: 360). فالاستفهام في أصل اللغة هو: طلب الفهم، وكذا هو في اصطلاح النحويين، وعند البعض "طلب الإفهام". (السيوطي، 1979، ص: 294)

وهناك من العلماء من سوّى بين الاستخبار والاستفهام، كابن فارس الذي يقول:" الاستخبار: طلب الخبر ما ليس عند المستخبر، وهو الاستفهام" (ابن فارس،1964م، ص: 181). وفي هذا يقول أبو القاسم عمر بن ثابت الثمانيني:" إنما يقال: استعلام واستخبار واستفهام إذا وقع ممن لا يعلم، فإن وقع مما يعلم بما يسأل عنه قيل: تقرير وتوبيخ وتبكيت، وكل ما في القرآن بلفظة الاستفهام، فهو من هذا القسم، لأن الله – جل اسمه- لا يجوز أن يستفهم ولا يستخبر ولا يستعلم، ويجوز أن يوبّخ ويقرّر ويبكت. (ابن جني، ص: 355)

وأدواته إحدى عشرة أداة، والألفاظ الموضوعة له: الهمزة، و"هل"، و"ما"، و"مَنْ"، و"أيْ"، و"كَمْ"، و"كيف"، و"أين"، و"أنَّى"، و"متى"، و"أيَّانَ". (ابن جني، ص: 136)

المحور الثالث: الاستفهام بين الحقيقة والمجاز وأغراضه البلاغية

والاستفهام نوعان: الأول ما كان قائمًا على الأصل اللغوي، وهو الاستفهام الحقيقي الذي يكون ظاهره موافقًا لباطنه، كسؤالنا عما لا نعلمه، فنقول: ما عندك؟ ومَنْ رأيت؟. والثاني هو الاستفهام المجازي، وهو ما خرج عن الأصل اللغوي إلى معان مجازية. (ابن فارس،1964م، ص: 289)

لقد بذل السكّاكي عناية واضحة في دراسته لأسلوب الاستفهام، وتحدّث حديثًا مفصلا عن أسلوب الاستفهام، فأفرد له مبحثًا مستقلًا، وأشار إلى المعاني المجازية فذكر منها الاستخفاف، والتحقير، والتعجّب، والاستبطاء والإنكار والتهديد، والتوبيخ والتنبيه، والتقرير. (السكاكي، 2000م، ص: 418-427)

ويعدّ سعد الدين التفتازاني أول من أثار مسألة خروج أسلوب الإساليب الإنشائية عن معانيها الأصلية فقال وهو يتحدّث عن الاستفهام:".....ثم إن هذه الكلمات الاستفهاميّة كثيرًا ما تستعمل في غير الاستفهام مما يناسب المقام بمعونة القرائن وتحقيق كيفية هذا المجاز". (التفتازاني، 2001م، ص: 419.)

ويرى محمد أبو موسى أن البلاغيين تكلّفوا في التقاط العلاقات بين المعنى الأصلي للاستفهام والمعاني البلاغية التي يفيدها، كما أنهم قد أتعبوا أنفسهم والدارسين بعدهم في محاولة الوصول إلى علاقات بين طلب الفهم وبين طلب هذه المعاني دون الوصول إلى رأي مقنع. (أبو موسى، 1988م، ص: 365)

ويرى أيضًا أن المعنى الأصلي للاستفهام وهو طلب الفهم من المخاطَب وإثارته وتحريك ذهنه يظلّ باقيًا عند إفادة الاستفهام لتلك المعاني البلاغية، ومزية أداء هذه المعاني بطريق الاستفهام على أدائها بطرقها المعهودة، إنما ترجع إلى بقاء معنى الاستفهام في تلك الأدوات. (أبو موسى، 1988م، ص: 365)

وذهب ركن الدين محمد بن علي الجرجاني إلى أننا لا نستطيع القول بأن الأسلوب الاستفهامي يفيد معنى واحدًا كالتعجّب مثلًا، بل هناك عدّة معان تنبعث من الأسلوب الاستفهامي، فمثلا في قوله جلّ جلاله:" ***وكيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون***" البقرة [28]، نجد أن الاستفهام يفيد إنكار الكفر والتعجّب من وقوعه، والتوبيخ على أنهما في الغفلة والجهالة، فلو قيل إن إفادة الاستفهام في الآية الكريمة معنى التعجّب إفادة مجازية والْتُمِسَتْ له علاقة بين طلب الفهم والتعجّب فماذا يقال عن بقية المعاني التي يفيدها. (عليّ الجارجاني، 2002م، ص: 96.)

وأضاف الزمخشري جملة من أساليب الاستفهام الأخرى إلى ما جاء به البلاغيون، من ذلك: التفخيم، وتبكيت المخاطَب، والتحقيق، والاستبعاد، والإنكار، والتوبيخ، وتوكيد المعنى وإزالة أي توهّم لدى السامع. (الزمخشري، 2012م، ص: 69)

وأما الزركشي فقد قسّم الاستفهام إلى قسمين: أولهما بمعنى الخبر، وله نوعان: الأول للنفي ويسمى الاستفهام الإنكاري، والثاني للإثبات ويسمى التقرير، ويأتي النفي بعد الاستفهام. فالنفي أكد معنى الاستفهام الذي جاء للإثبات، وقد يجتمع مع الاستفهام أغراض أخرى كالافتخار، والتوبيخ، والعقاب، والتبكيت، والتسوية، والتعظيم، والتهويل، والتسهيل، والتخفيف، والتفجّع، والتكثير، والاسترشاد. (الزركشي، 2/341-351)

المحور الرابع: دراسة تطبيقية لأساليب الاستفهام الواردة في النماذج المختارة.

تخرج صيغ الاستفهام عن معانيها الحقيقية إلى معان أخرى، تفهم من سياق الكلام، وقرائن الأحوال، ومن أهم هذه المعاني ما يلي:

1: **التقرير:** وهو حمل المخاطَب والسامع على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقرّ عند ثبوته أو نفيه، وكأنّ مضمون الكلام المطلوب تقريره أصبح عند المخاطَب مستقرًّا ثابتًا، فتقرير الإنسان بالشيء جعله في قراره. (الأزهر الزناد، 1992م، ص: 112.)

ومما ورد على هذا المعنى قول المؤلف:" ***أترون حالنا الآن مع الهاتف بالاهتمام؟ هكذا كان حال الصحابة مع المصحف بالالتزام.***" (عمر محمد الأول ، 2022م، ص: 39)

جاء الاستفهام بأداة الهمزة، والهمزة هي أم باب الاستفهام، ولها صدر الكلام كما لغيرها من أدوات الاستفهام، وهي حرف مشترك بمعنى أنه يدخل على الأسماء والأفعال لطلب التصديق. (سيبويه، 3/187).

والأصل في الاستفهام الحقيقي أن يطلب به الفهم أو معرفة أمر مجهول، غير أن الاستفهام هنا ليس حقيقيًّا؛ لأن المؤلف لا يطلب جوابًا من المخاطبين، وإنما يخبر عن حال الناس مع الهاتف وكثرة انشغالهم به. ولذلك خرج الاستفهام إلى المعنى المجازي، ودلالته في السياق هي التقرير والتنبيه؛ إذ أراد المؤلف أن يقرّر شدّة اهتمام الناس بالهاتف، وأن يلفت الأنظار إلى هذا التعلّق الكبير به، تمهيدًا للمقارنة بقوله:" ***هكذا كان حال الصحابة مع المصحف بالالتزام.***" فالمعنى البلاغي للعبارة: تقرير واقع الناس مع الهاتف، والحثّ ضمنًا على أن يكون ارتباط المسلمين بالمصحف واهتمامهم به كاهتمامهم بهواتفهم أو أعظم من ذلك.

2: **التقرير والتعظيم.** قال المؤلف:" ***أية سلاسل تصفد الهوايا الشيطانية؟ وأيّة مؤسسة تجدّد حسن المعاملة البشريّة؟ وأيّة مدرسة تقوم بتربية الإرادة الإنسانيّة؟ وأيّة هيئة تسعى نحو تعليم الصبر الجميل في الشؤون***

الاجتماعية؟ وأيّة توعية تسدّ الأخوة الإسلامية بين الأغنياء والفقراء عبر الظروف الاقتصاديّة؟ كمدرسة الصيام التي يفتحها الإسلام فرضًا في رمضان، وتطوُّعًا في غير رمضان...." (عمر محمد الأول ، 2022م، ص: 59)

في هذه العبارة تتابع الاستفهام بأداة "أيّة"، وهي عامة تستعمل للعاقل وغير العاقل، ويجوز وقوعها للمفرد والمثنى والجمع على لفظ واحد، لأنها بمنزلة (ما) و(من) في جميع ما وقعتا عليه على لفظ واحد. ويجوز أيضًا في التثنية والجمع في الأحوال الثلاث: أيَّانِ وأيُّونَ وأيَّيْنِ، وأيِّين. وفي المؤنث أيّة (في مثناه أيّتان وأيّتَيْنِ. وفي جمعه: أيَّات). (الزمخشري، 2004م، ص: 143)

وتستعمل "أيّ" للتمييز بين أحد المتمايزين في أمر يشملهما، يقول السكّاكي:" وأما "أيّ" فللسؤال عما يميز أحد المتشاركين في أمر يعمهما، يقول القائل: عندي ثياب، فتقول: أي الثياب هي؟ فتطلب منه وصفا يميزها عندك عما يشاركها في الثبوتية". (السكاكي، 1987م، ص: 312)

والمؤلف في كلامه لا يقصد به طلب الجواب الحقيقي أو البحث عن مؤسسة أو مدرسة بعينها، لأنه أراد أن يقود المتلقي إلى نتيجة مقرّرة في ختام الكلام، وهي أن مدرسة الصيام في الإسلام هي التي تحقّق هذه المقاصد العظيمة.

وعليه، فالاستفهام هنا مجازي خرج من معناه الأصلي إلى معنى التقرير والتعظيم؛ إذ يقرّر المؤلف أن الصيام هو النظام التربوي الأسمى القادر على كبح الشهوات، وتهذيب السلوك، وتعليم الصبر، وتقوية روابط الأخوّة والتكافل بين الناس.

ونلاحظ أن الأسلوب يحمل معنى التشويق والإقناع؛ لأن تكرار أداة "أيّ" الاستفهامية يثير ذهن المتلقي، ويدفعه إلى التأمل والبحث عن الجواب، حتى تأتي الخاتمة "***كمدرسة الصيام التي يفتحها الإسلام فرضًا.....***" فتبدو نتيجة طبيعية ومقنعة بعد هذا التدرج البلاغي.

3: الاستنكار والتعجّب قال المؤلف:" ***أفلام الإجرام لماذا يشاهدها الأطفال***" (عمر محمد الأول، 2022م، ص: 47)

جاء الاستفهام بأداة "ما" ونجد أنها موصولة بـ (ذا)، وقد اختلف العلماء في أمر (ماذا) فمنهم من يرى أنها مركبة من (ما) للاستفهام و(ذا) اسم إشارة. ومنهم من يرى أن (ما) للاستفهام و(ذا) اسما موصولا، ويرى البعض أن (ما) للاستفهام و(ذا) زائدة، بينما يرى البعض أن المجموع (ماذا) اسما واحدا المعنى منه استفهام(ناغش عيدة، 2012م، ص: 36) ، وهي في الأصل تستعمل في غير العقلاء، وهي اسم يقع على جميع الأجناس وهي بمعنى أي شيء، والعرب قد استعملوا (ما) للعاقل على قلة ولم يشع الاستعمال. (الفراء، 102/1)

و(لماذا) في الأصل تستعمل للسؤال عن العلة والسبب، وهذا هو الاستعمال الحقيقي إذا كان المتكلم يجهل العلة ويريد معرفتها. غير أن الاستفهام في كلام المؤلف يفهم من سياقه على أنه استفهام مجازي؛ لأن المقصود ليس مجرد طلب معرفة السبب، بل التعبير عن الاستنكار والتعجّب من مشاهدة الأطفال لأفلام الإجرام، وما قد يترتّب عليها من آثار سلبية. والمؤلف يستنكر ويستقبح هذا الأمر ويراه غير مناسب للأطفال، وفي نفس الوقت يتعجّب من انتشار هذه الظاهرة أو السماح بها. فالجملة تحمل معنى نقد هذا السلوك والتنبيه إلى خطورته.

4: الإنكار والتوبيخ. قال المؤلف:" ***حتى متى تأكل خبزك بلحوم الناس***" (عمر محمد الأول، 2022، ص: 72) فـ"متى" من الظروف المبهمة غير المتمكنة، وذلك أنها لا تضاف ولا تصرف عيرها، وهي لا تكون نكرة، والمقصود بها السؤال عن الزمان، ولذلك لا يجوز أن تجيب من سألك متى لقيت فلانًا؟ بقولك: شهرًا، لأن الشهر لا يكون توقيتًا، ولأن اللقاء لا يكون إلا في

بعض شهر، وإنما سألك لتؤقِّت له. فالمعنى الأصلي لـ (متى) السؤال عن الزمن، لكنه هنا استفهام مجازي؛ لأن المؤلف لا يطلب معرفة الوقت، وإنما يقصد الإنكار والتوبيخ على الغيبة والنميمة، وقد صورت الغيبة بصورة أكل لحوم الناس تقبيحًا لهذا الفعل، ودلالته في السياق الإنكار على الاستمرارية في الغيبة، والتوبيخ والزجر عن هذا السلوك وفيه أيضا معنى التحذير من عاقبته.

5: **النصح والإرشاد.** قال المؤلف: "***إن لم تغتنم مفتاح الخير بالحب والصداقة، ولمَ تكتسب مفتاح الشر بالكره والغيبة؟***". (عمر محمد الأول، 2022، ص: 72) الأسلوب هنا في ظاهره استفهام، لكنه ليس لطلب الجواب عن السبب والعلة، بل هو استفهام مجازي غرضه الحث والإرشاد؛ إذ يدعو المؤلف إلى التحلّي بالمحبّة والصداقة واجتناب الكراهيّة والغيبة. ودلالته في السياق النصح والإرشاد والترغيب في الخير مع التحذير (ضمنًا) من الشرّ وآثاره.

6: الاستبعاد. والاستبعاد نمط بلاغي للاستفهام المجازي يوضح فيه المتكلم أن حدوث أمر ما يكاد يكون متخيلا أو مستحيلًا، وقد يجتمع الاستبعاد والتعجّب في الاستفهام المجازي. (الزمخشري، 1998م، 217/3)

ومما ورد على ذلك قول المؤلف:"***العجب كل العجب ممن خاف العقاب فلم يكفّ من الذنوب، يرجو حسن الثواب فلم يعمل لحسن المآب، فأنى يستطاب وكيف يستجاب؟***".(عمر محمد الأول، 2022، ص: 102)

ففي قوله هذا أسلوبان من أساليب الاستفهام، حيث جاءت أداة "أنى" وأداة "كيف"، فـ"أنى" في الأصل تستعمل للسؤال عن الحال أو الكيفية أو المصدر (أي من أين)، غير أن الاستفهام هنا ليس حقيقيًّا؛ لأن المؤلف لا ينتظر جوابًا، بل يستبعد حصول الأمر، فدلالته في السياق هي الاستبعاد؛ أي كيف يرجى طيب الحال أو قبول العمل ممن يخاف العقاب ولا يترك الذنوب.

وأما في قوله: "***وكيف يستجاب؟***" فكانت الأداة "كيف" وهي في الأصل للسؤال عن الحال، لكنها هنا كذلك استفهام مجازي، خرج إلى معنى الاستبعاد؛ أي يستبعد أن تستجاب دعوة من لا يعمل صالحًا ولا يسلك طريق الطاعة.

7: التكثير والتهويل. قال المؤلف:"***كم جمّرت السيئات من مجتمع؟ وكم أهلكتِ المعاصي من أمّة؟ وكم أهتكتِ المحرمات من أعراض؟ وكم فسدتِ الموبقات من أراض؟***".(عمر محمد الأول، 2022، ص: 121)

وردت "كم" في صورة الاستفهام، والأصل في "كم" يؤتى بها للكناية عن العدد المبهم، وتقع على القليل منه والكثير. وتأتي على وجهين: استفهامية بمعنى أي عدد، وخبرية بمعنى كثير. وتختلف الخبرية عن الاستفهامية في أمور أهمها: الخبرية تحتمل التصديق والتكذيب بخلاف الاستفهامية، ولا يقتضي المتكلم في الخبرية جوابًا بخلاف الاستفهامية. (قطبي الطاهر، 1992م، ص: 105)

ونجد في قول المؤلف أن أسلوب الاستفهام "كم" تتابع في نسق متلاحق، لا يراد به السؤال الحقيقي عن العدد، لأن المؤلف لا يطلب إحصاء ما دمّرته السيئات أو أهلكته المعاصي أو أهتكته المحرمات وفسدته الموبقات، وإنما يستحضر صور الفساد وآثاره استحضارًا يثير الوجدان ويهزّ النفس. فقد خرج الاستفهام من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي، ودلّ في السياق على التكثير والتهويل؛ إذ يصور المؤلف كثرة المجتمعات التي عبثت بها السيئات، وكثرة الأمم التي أوردتها المعاصي موارد الهلاك، حتى يبدو الفساد وكأنه سيل جارف لا يقف عند حدٍّ. ويحمل الأسلوب في طياته معنى التحذير والزجر، لأن هذا التكرار المتوالي للاستفهام يرسّخ في النفس فداحة آثار الذنوب واتساع خطرها على الأفراد والمجتمع.

الخاتمة

بعد هذه الدراسة التطبيقية لأساليب الاستفهام الواردة في النماذج المختارة، يتبيّن أن الاستفهام في النصوص المدروسة لم يقتصر على معناه الأصلي القائم على طلب الفهم والاستعلام عن أمر مجهول، بل تجاوز ذلك إلى آفاق بلاغية واسعة، استثمر فيها المؤلف هذا الأسلوب توظيفًا فنيًّا مؤثرًا يخدم أغراضه التربوية والدعوية والاجتماعية. فقد جاء الاستفهام أداةً لإثارة الفكر، وتنبيه الوجدان، وتحريك العقل نحو التأمل في القضايا المطروحة، حتى أصبح وسيلة من وسائل الإقناع والتوجيه والتأثير.

وقد ظهر من خلال الأمثلة المختارة أن المؤلف أحسن الإفادة من أدوات الاستفهام المختلفة، فنوّع بينها بحسب مقتضى المقام؛ فجاءت الهمزة للتقرير والتنبيه، و"أيّ" للتقرير والتعظيم، و"لماذا" للاستنكار والتعجب، و"متى" للإنكار والتوبيخ، و"أنّى" و"كيف" للاستبعاد، و"كم" للتكثير والتهويل، كما ورد الاستفهام أحيانًا في صورة النصح والإرشاد والترغيب في الخير والتحذير من الشر.

وهذا التنوع في الأساليب يدل على سعة القدرة البيانية لدى المؤلف، وحسن اختياره للأداة المناسبة لكل معنى، إذ لم يكن الاستفهام عنصرًا شكليًّا في العبارة، بل كان جزءًا أصيلًا من بناء المعنى، ومظهرًا من مظاهر القوة التعبيرية في النص. كما أن تكرار بعض أدوات الاستفهام في مواضع مخصوصة أكسب الكلام نغمة إيقاعية مؤثرة، وزاد من قوة الإقناع واستثارة المتلقي.

ومن ثمّ، فإن الاستفهام في هذه النصوص يُعدّ من أبرز الوسائل البلاغية التي اعتمد عليها المؤلف في معالجة القضايا الأخلاقية والاجتماعية والدينية، حيث جعله أداةً للتوجيه والإصلاح، ونافذةً لإيقاظ الضمير، وتحريك النفس نحو الخير.

النتائج

1. ثبت من خلال الدراسة أن أسلوب الاستفهام في النماذج المختارة خرج كثيرًا عن معناه الحقيقي إلى معانٍ بلاغية مجازية متعددة .
2. تبيّن أن أكثر الدلالات ورودًا في النصوص هي: التقرير، والإنكار، والتوبيخ، والاستنكار، والنصح والإرشاد، والتكثير، والتهويل، والاستبعاد .
3. كشفت الدراسة عن تنوّع أدوات الاستفهام المستعملة، ومن أبرزها: الهمزة، هل، أيّ، متى، كيف، أنى، لماذا، كم .
4. دلّ هذا التنوع على تمكن المؤلف من أسرار العربية وبلاغتها، وقدرته على توظيف الأداة المناسبة بحسب السياق .
5. أسهم الاستفهام في تقوية المعنى وإبراز الفكرة بطريقة أكثر تأثيرًا من الأسلوب الخبري المباشر .
6. أدّى تكرار الاستفهام في بعض المواضع إلى زيادة التشويق والإقناع وشدّ انتباه المتلقي .
7. اتضح أن الاستفهام كان وسيلة إصلاحية وتربوية بارزة في النصوص، لا مجرد أسلوب لغوي.

المصادروالمراجع

- ابن فارس، أحمد بن زكريا: **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامهم**، تحقيق محمد الشويمي، مرسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، 1383هـ - 1964م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: **أدب الكاتب**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، مطبعة السعادة، مصر، 1382هـ - 1963م.
- أبو الفتح عثمان بن جني: **اللمع في العربية**، تحقيق حامد المؤمن، مطبعة العاني، بغداد.
- الأزهر الزناد: **دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة**، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، 1992م.
- بنت عبد الرزاق طاهر: **المحسنات اللفظية في "روائع الحكم في بدائع الكلم"**، مقالة علمية، نشرت الباحثة في مجلة الولاء للدراسات العربية والأدبية، الجامعة الفيدرالية كاشري، المجلد الأول، العدد الأول، 2024م.
- الجرجاني، ركن الدين محمد بن علي: **الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة**، تحقيق إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، 1423هـ - 2002م.
- جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن: **الإتقان في علوم القرآن**، الطبعة الأولى، المطبعة الأزهرية، مصر، 1979م.
- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2 د،ت/د،م،ط
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر جار الله: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ عليّ محمد معوّض، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض، 1418هـ-1998م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر: **المفصل في علم العربية**، تحقيق فخر صالح قدارة (دكتور)، الطبعة الأولى، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، 1425هـ-2004م.
- سعد الدين التفتازاني: **المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم**، تحقيق عبد الحميد الهنوادي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ - 2001م.
- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن ابي بكر محمد بن علي: **مفتاح العلوم**، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية بيروت، 1407هـ - 1987م.
- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر: **الكتاب**، 187/3. د،ت/د،م،ط
- عمر محمد الأول الإمام: **روائع الحكم في بدائع الكلم**، مطبعة الهدى للطبع والنشر والتوزيع، إلورن، الطبعة الأولى، 1444هـ/2022م.
- عمر محمد الأول الإمام: **روائع الحكم في بدائع الكلم**، مطبعة الهدى للطبع والنشر والتوزيع، إلورن، الطبعة الأولى، 1444هـ/2022م.
- .....: **موارد الظمآن في تراجم البلاغيين النيجيريين**، الطبعة الأولى، مطبعة الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، إلورن، 1444هـ - 2023م
- الفراء، معاني القرآن، 102/1.
- قطبي الطاهر: **الاستفهام النحوي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992م.
- محمد محمد أبو موسى: **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري و أثرها في الدراسات البلاغية**، الطبعة الثانية، مكتبة وهبة، القاهرة، 1988م.
- ناغش عيدة: **أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين**، رسالة الماجستير للطالبة، جامعة مولود معمري، الجزائر، 2012م.